دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: من الفلسفة السياسية إلى النظرية السياسية
المصدر: مجلة الملتقى
الناشر: عبدالصمد بلكبير
المؤلف الرئيسي: مطر، أميرة حلمي
المجلد/العدد: ع 12
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2004
الصفحات: 67 - 71
رقم MD: 515428
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: الصراع السياسي، الفلسفة السياسية، النظريات السياسية، النظم السياسية، النظم الاجتماعية، المشاكل السياسية
رابط: http://search.mandumah.com/Record/515428

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دكتورة أميرة حلمي مطر

من الفلسفة السياسية الى النظرية السياسية

تحاول الفلسفة السياسية أن تجيب عن السؤال الآتي وهو كيف يمكن للقوة أن تتوافق مع المعقولية في المجتمعات .

والسياسة في أكثر معانيها انتشارا هي علم القوة وتنظيمها في المجتمعات [1] ، أما الفلسفة فهي تنظيم مستمر لعملية التعقل واكتشاف المبادىء المنظمة للتطبيق العملي .

ولما كانت الأداة التي يمكن لها تحقيق هذا التوفيق بين القوة والعقل في المجتمع هي الدولة ، فقد يحدث أن تنجح الدولة في إخضاع القوة للعقل ، وقد تهدف الى أن يكون مثلها الأعلى هو تتويج للعقل مقعد القوة ، ولكن يحدث في الغالب أن تفشل في ذلك . ولقد كان أفلاطون هو أول من عنى بالبحث عن إمكانية هذا التوفيق بل كان أول من دعا الى هذا الهدف في فلسفته السياسية .

ولقد تقدمت العلوم السياسية في عصرنا الحالي ، وتشعبت فروعها بهدف الوصول بالمنهج العلمي الى القوانين التي تحدد سير الظواهر السياسية المختلفة التي تشمل نظم الحكم المختلفة كما هي قائمة فعلا في الدول المختلفة وعلاقة الدول ببعضها أو سلطة الدولة على الفرد وواجبات الفرد إزاء الدولة . كل هذه المباحث يجهد في اكتشافها العلماء ويستعينون في سبيل ذلك بكل ما توصلت اليه العلوم الانسانية الأخرى وخاصة علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس لما لهذه العلوم من صلة وثيقة بالظواهر السياسية .

فقد ظهر خاصة بعد التحليل الماركسي للتاريخ أن نظام الحكم في مجتمع معين إنما يتشكل بحسب تنظيم ملكية وسائل الانتاج . كذلك فإن دراسة النظم الاجتماعية ، وكل ما يتصل بسلوك الانسان الاجتماعي وكل ما يؤثر في نفسيته إنما ينعكس في النهاية على سلوكه السياسي وعلى أفكاره السياسية .

ولم تكن هذه الدراسات الانسانية كلها منفصلة عن الفلسفة حتى القرن السابع عشر إذ

---

1) Duverger ; Introduction à la politique ; 1964

قد بدأ يظهر للعلماء ابتداء من هذا القرن ونتيجة للثورة العلمية واعتناق المناهج التجريبية التي أثمرت العلم الطبيعي إمكانية تطبيق هذا المنهج على الدراسات الانسانية خاصة في القرون التالية على هذا القرن . وكل هذه العلوم وعلم السياسة من بينها يطمع في النهاية الى الاستقلال عن الفلسفة والوصول الى تقنين الظواهر على أسس علمية تجريبية وثيقة .

ولكن رغم ذلك فما زالت للأبحاث الفلسفية مكانها في مجال السياسة ، وذلك لأن الظواهر السياسية شأنها شأن ظواهر الحياة الاخلاقية هي أمور تفترض الإرادة الانسانية ، وهذه الإرادة تتصف بالحرية ، وبالتالي فإنه يكون من الصعب الوصول الى قوانين دقيقة تصلح للتنبؤ بسيرها أو ضبطها على وجه التحديد العلمي ، ومن هنا يبقى للفلسفة السياسية طابعها المعياري normative .أي الذي يتجاوز البحث فيما هو كائن الي المثل العليا التي ينبغي أن تكون ، ولذلك فقد درج الفلاسفة دائما على القول بأنه يجب على العلم السياسي ألا ينسى أبدا أنه يتعلق مباشرة بعلم الأخلاق ، وأن علم الأخلاق هو ميدان الحرية [1] . كذلك تحاول الفلسفة السياسية تحقيق قيم إنسانية معينة ، قد تكون العدل أو الحرية أو السعادة لأفراد المجتمع ، فهي تصف وتعنى بتحقيق هذه القيم بل تحاول تقييم الواقع السياسي على ضوء ما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع - وعلى أساس من هذه الصفة المعيارية أمكن لها أن تتسع باستمرار للبحث في التصورات المثالية والمجتمعات النموذجية ، وهي التصورات المعروفة باسم اليوتوبيا utopia [2] ، كما أمكن لها أيضا أن تحدد المبادىء المفسرة لقواعد السلوك التي تضفي على هذه المبادىء صفة الإلزام المرتبط بأنها دراسات ملزمة prescriptive بقدر ما هي معيارية أو تقويمية normative وعلى هذا الأساس أمكن للفلسفة السياسية أن تتسع لدراسة الايديولوجيات ، فهي لا تقف عند حد فهم الظاهرة السياسية أو الحكم عليها وتقييمها بل تهدف أيضا الى توجيه سير الأحداث بمقتضى نظرية أو فلسفة معينة ، فالايديولوجيا بحسب معناها الحرفي هي علم الافكار ، غير أن هذا المعنى قد تطور الى البحث في دراسة الوسائل التي يمكن بها تطبيق الافكار وتحويلها الي خطة عمل لتغيير المجتمع على نحو ما نجد في الايديولوجيا الماركسية أو خطة عمل للمحافظة على المجتمع القائم على نحو ما نجد في كثير من الفلسفات المحافظة على ثبات القيم المتوارثة .

وكذلك لم يشك أحد من فلاسفة السياسة في هذا الطابع المعياري ، وعملوا جميعا ابتداء من أفلاطون على تشخيص أمراض مجتمعاتهم ووصف الحلول الخاصة بعلاجها

---

1) مقدمة كتاب السياسة لأرسطو ترجمة ساتهيلير ونقل أحمد لطفي السيد ، دار الكتب المصرية 1947 ص 6 . 2) الكلمة مستمدة من اللغة اليونانية وتعني لا - مكان Out - Topos

مستعينين في ذلك بالمبادىء العقلية التي تساعدهم على الحكم على الأحداث وتنظيمها ، وكذلك فعل أفلاطون حين بحث في مدينته الفاضلة ووضع لها الحل - المثالي الذي ارتآه ، وحاول هوبز في القرن السابع عشر أن ينقذ دولته من الصراع الديني والحرب الأهلية التي استعر أوارها ، وجاء لوك من بعده يناضل من أجل إرساء حقوق ملكية الافراد ويظلها بحكم القانون ويدفع عنها أخطار الملكية المطلقة .

وبناء على ذلك يقال عادة إن الفلسفة السياسية تزدهر عندما ينتاب الدولة سقم أو أمراض فيأتي الفلاسفة ويحملون أنفسهم مهمة الأطباء من حيث التشخيص ووصف العلاج .

وتتميز الفلسفة السياسية عن العلوم السياسية بأنها تتخذ منهجا في البحث مختلفا عن مناهج البحث العلمي هو المنهج الذي يمكنها من التوصل الى طبيعة المشكلات التي أثارها الفلاسفة وتكشف عن طريقتهم في البرهنة عليها أو نقدهم لها ، وكل تجديد في هذه الفلسفة إنما هو ثمرة نقد الفلاسفة لبعضهم ومراجعتهم لمن سبقوهم . فدراسة تطور الفكر السياسي يبيّن لنا كيف نما فكر أرسطومن خلال نقده لأفكار أفلاطون ثم تجاوزه ، وكيف نشأ فكر ماركس في ثنايا فلسفة هيجل ثم تجاوزها ، بل إن تصور جان جاك روسو للسيادة في كتابه العقد الاجتماعي لم يكن ليتاح له بغير أن يطلع على فكر أرسطو وفلسفته وتصوره للدولة وأثرها في تربية المواطن وأسهمت مما قدمه سابقا بودان وهوبز من نظريات جديدة في السيادة .

من هنا يتضح لنا أن الفلسفة السياسية لا تنفصل عما يعرف الآن باسم النظرية السياسية ، وهي تشمل تطور الفكر السياسي الذي يعنى بتحقيق طبيعة المشكلات التي تعرض لها كبار الفلاسفة حين كانوا بصدد التفكير في مشكلات واقعهم السياسي . ولعل أوضح مثال لذلك أن ما يبدو لنا اليوم بديهيا من حق الفرد في التعبير عن رأيه وممارسته لحقوقه السياسة والمشاركة في الحياة العامة ، إنما هو رأي لم يكن ليتاح لنا لولا جهاد فكري كبير وصراع فلسفي قدمته قرائح الأسلاف من الفلاسفة . هؤلاء الفلاسفة الذين استوعبوا مشكلات عصورهم ، ولكنهم استطاعوا أيضا أن يؤثروا على مجري التاريخ بأفكارهم وإلا فهل يمكن أن ننكر أثر فكر مونتيسكيو وفولتير في التمهيد للثورة الفرنسية أو أثر فلسفة ماركس ولينين في الثورة السوفييتية .

ولقد نشأت الفلسفة السياسية ودونت لأول مرة من خلال الحياة السياسية التي وجدت عند اليونان ، ذلك أنه لم توجد نظريات سياسية في الامبراطوريات الشرقية القديمة ، إذ لم يكن من المألوف أن يتحدث المفكرون عن غير النظام القائم فعلا ، الذي كان يتولى السلطة المطلقة لحاكم يستمد سلطانه من الآلهة . كانوا في الحضارات القديمة لا يناقشون فكرة الحرية

على نحو ما قد عرفتها الحضارة اليونانية والرومانية مثلا ، وإنما درجوا علي أن يعدوا أنفسهم أحرارا طالما لم يخضعوا لشعب أو لجنس آخر له دين مختلف . وليس معنى أن الشرقيين القدماء لم يقدموا نظريات سياسية أنهم لم يعرفوا النظم السياسية ، فالواقع أنه قد خلفوا لنا الكثير من القواعد التي كونت فن السياسة أي وضعوا تشريعات معينة تبين طرق الحكم المختلفة التي اتبعوها على نحو ما نجد في كتاب الموتى من نصائح ووصايا وضعها الفراعنة لأبنائهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، وكما نجد تشريع حامورابي في بابل ، وفي الهند نجد في كتب البراهمة بعض النظريات التي تبين لنا نظام الطبقات castes حيث تذهب الي أن طبيعة طبقة البراهمة قد خرجت من رأس الإله براهما وخرج المحاربون من ذراعيه والتجار من رجليه ، أما المزارعون وباقي العمال والمنبوذون فمن قدميه - وقد حاول بوذا أو الحكيم سكياموني أن يخفف من قسوة هذا النظام الطبقي . ولم تنجح - البوذية في الهند - لسطوة البراهمة فيها ما أدى الى الهجرة الى الصين واليابان - وقد سار على خطى بوذا في الصين كونفوشيوس .

فإذا كنا بصدد البحث في أصول نشأة هذه الفلسفة فإنما ينبغي لنا أن نرجع الى عصر سقراط والسوفسطائيين أولئك الذين قدموا بذور الفلسفة الكلاسيكية التي أخذ بها من بعدهم أفلاطون وأرسطو والرواقيون والعصور الوسطى حتى القرن السابع عشر . أما فلسفة السياسة الحديثة فقد نشأت من نقد المبادىء التي وضعها قدماء اليونان وأصبحت نواة الفلسفة السياسية الكلاسكية .

فالفلسفة اليونانية التي بدأت تاريخها بالبحث في الطبيعة physis كانت تنطوي في الواقع على مسلمات وافتراضات خاصة بها . كان اليونان يفترضون أن لكل الموجودات حالة نهائية كاملة تبغي البقاء عليها وتكون غاية لحركتها ، وهذه الحالة لم تخلقها الآلهة . وإنما كانت الالهة والبشر تسعى الى معرفتها على السواء ، ومن هنا فقد كان مطلب الفلاسفة هو اكتشاف هذه الطبيعة ، وقد ظهر لهم أن هناك من الموجودات ما ليس بطبيعي لأنه مخلوق للانسان ، ومن ثم فقد وضعوا هذه التفرقة بين الموجود بالفن أو بالقانون Nomoi [1] .

فكون الانسان يتكلم كان عندهم شيء طبيعي ، أما كونه يتكلم لغة معينة فهذا يرجع الى القانون أو الإتفاق فهو أمر وضعي by convention ، فالطبيعي عندهم سابق على الوضعي ، وهذه التفرقة بين الطبيعة والقانون أساسية بالنسبة للفلسفة الكلاسيكية . وحتى في الفلسفة الحديثة والمعاصرة يمكن أن نلاحظ استمرار هذه التفرقة بين ما يعرف بالحق

---

1) Moscaet Bouthoul ; Histoire des doctrines politiques ; p . 77 .

الطبيعي natural right والحق الوضعي positive .

ومما لا شك فيه أن الفلسفة السياسية منذ نشأتها لم تكن منفصلة عن مشكلات الواقع التاريخي ، ففلسفة أفلاطون وأرسطو مثلا لا يمكن أن تفهم بغير الرجوع الى دولة المدينة والظروف السياسية التي أحاطت بها ، وفلسفة هيجل لم تكن لتقوم بغير النظر الى ظروف الدولة البروسية الحديثة ، ومن هنا تتصف الفلسفة السياسية الكلاسيكية بأنها نشأت وتطورت من خلال الإتصال بالواقع السياسي .

أما الموضوع الذي تعنى به الفلسفة السياسية المعاصرة فلم يكن دائما هو موضوع عناية الفلسفة الكلاسيكية ، فالعناية بالمنهج مثلا تعد من أهم ما استحدثته الفلسفة السياسية المعاصرة . ويغلب هذا الطابع على اتجاهات الفلسفة الانجلو- سكسونية وبخاصة اتجاهات الوضعية المنطقية وفلاسفة التحليل الذين لم تعد الفلسفة السياسية تفهم عندهم على ما كانت تفهم به في تراث هوبز ولوك وميل ، بل كادت تقتصر على مجرد تحليل اللغة التي يستخدمها علماء السياسة لتقويم هذه اللغة ، ولتخليص الفكر من الأوهام التي ترجع الى سوء استخدام الألفاظ ، ذلك لأن كثيرا من مشكلات الفلسفة التقليدية إنما يرجع في رأي أتباع هذا المذهب الى تأثير اللغة على الفكر ، ويترتب على ذلك ألا ننتظر من الفلسفة السياسية المعاصرة أن تضيف الى معلوماتنا حقائق خاصة بالحياة السياسية بقدر ما تقدم لنا منهجا لمراجعة النظريات العلمية ، فهي إذن فرع من فروع فلسفة العلوم [1] .

وخلاصة القول أنه مع تبين هذا الفارق بين ما كانت تعرف به الفلسفة السياسية الكلاسيكية ، وما تتجه اليه اليوم فقد أصبح من الواضح أن الفلسفة السياسية القديمة كان لها اتصالها المباشر بالواقع . ولما كان الفيلسوف يأخذ على عاتقه مهمة الكشف عن الحل الأمثل لكل الصراعات والأزمات المحيطة بمجتمعه كانت تتصف بأنها فلسفة عملية على حد قول أرسطو لأن غاية القدماء كانت حسن توجيه الساسة والمشرعين . أما اليوم فأغلب الظن أن جهد الفلاسفة لا ينصرف الى أهداف عملية بقدر ما يدور حول النظريات العلمية والقدرة علي الخروج من خلال هذه النظريات بآراء وأفكار جديدة غايتها حسن الفهم واستقامة النظر ، لذلك فإن أغلب أبحاثها يتخذ اليوم عنوانا جديدا هو النظرية السياسية .

---

1) Cf . T.D. Woldon ; The Vocabulary of Politics . Penguin . 1953 .